الفصل الأول

أسلوب المستشرقين وحقدهم

- ماذا يراد بالاستشراق والمستشرقين ؟
- مستشرقو العصور الوسطى .
- بعد منتصف القرن التاسع عشر .
- التجاهل للرسول والرسالة .
- الطعن غير المباشر .

obeikandl.com

obeikandl.com

ماذا يراد بالاستشراق والمستشرقين ؟

يراد بالاستشراق دراسة كل شيء عن الشرق ، لغاته القديمة ، ولهجاته الحديثة ، وتاريخه واساطيره وطباعه ، وعاداته ، وأديانه ، ومعادنه ، وكل ما يتصل به من الناس والحيوان والنبات والمناخ والتربة . ومكونات الشخصية .. وعوامل الفرقة .

ويراد بالمستشرقين أولئك الذين لهم اهتمامات جادة بهذه الدراسات .

● **كيف ولد الاستشراق ؟**

تسرب الاسلام الى أوروبا فى نهايات القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) عن طريق فتح بلاد الأندلس التى يطلق عليها الآن اسم أسبانيا والبرتغال .

وكان المسلمون قد فتحوا مساجدهم ومجالسهم العلمية لكل من أراد العلم ، والعلم فى عرف المسلمين الأوائل كان يعنى العلوم الشرعية ، والعربية ، والاجتماعية ، والكونية ، والتقنية ، لا يضنون بالفنون الحضارية على أحد من النصارى أو اليهود ، أو غيرهم من البشر ، باعتبار الاسلام رسالة الارتقاء بالانسان ـ اى انسان ـ الى مستوى افضل ، عقليا وماديا ، فكان يفد الى الأندلس كثير من الشباب ، من كافة انحاء أوروبا ليغترفوا من علوم المسلمين .

واستهوت علوم المسلمين وأخلاقهم وعاداتهم كثيرين من هؤلاء الوافدين الى الاسلام . فخشيت الكنيسة الغربية على مستقبلها ، فعملت على الحيلولة بين الشباب وبين بلاد الأندلس وجامعاتها . وعمدت الى اعداد طائفة من الرهبان والقساوسة لدراسة العلوم الشرقية ـ يعنى الاسلامية وغيرها مما يدرسه اهل المشرق ـ حتى يمكنهم جذب الشباب الى حلقات مماثلة يكون زمامها بيد الكنيسة ، ويمكن من خلالها تشويه صورة الاسلام لدى الدارسين .

obeikandl.com

ومن ثم كان الارتباط الأول بين العملية الاستشراقية وبين عملية محاربة الاسلام بالكتابة ، والمحاضرة ، والقصة ، والأغنية .. وسائر وسائل الاعلام .

* * *

● **أسلوب المستشرقين فى حقدهم :**

ان كتابة المستشرقين عن الاسلام ورسوله ـ بوجه عام ـ قد اتجهت اتجاهين :

١ ـ اتجاه كتابهم فى العصور الوسطى ، وهو سافر بالخصومة ، متبجح .

٢ ـ واتجاه كتابهم فى العصر الحديث ، وفيه التواء وغموض ، الا ما كان فى كتابة بعض الشيوعيين المعاصرين ، وذلك ابتغاء استرضاء الحزب الشيوعى الداعى الى الالحاد واسقاط كرامة الأنبياء ومنزلة الأديان من القلوب ، وتجرىء للناس على رسل الله ورسالات الأنبياء من هجوم وقح وغير علمى .

* * *

● **أسلوبهم فى العصور الوسطى :**

وفى تلك العصور بدأ عهد الاستشراق ، وقد جنح الكتاب فى تلك الآونة وعلى رأسهم قادتهم من الرهبان والقساوسة يصورون الاسلام ورسوله فى صورة مشوهة ، تقبح الاسلام ورسوله فى نظر القراء .

فهى كتابة تستهدف اقامة السدود والأسوار النفسية والوجدانية حول المسيحيين ، حماية لهم من التفكير فى الاسلام والبحث عنه فى مراجعة الأصلية الصحيحة .

ويرجع كل هذا التهور والتبجح الى قلة الاطلاع فى الأصل . هذا اذا لم يشب ذلك سوء قصد ، لأن الغربى لا يبرح عدوا للشرقى ورقيبا له . والنادر لا يعتد به(١) ..

---

(١) الرد على الأدب الجاهلى ، تأليف شكيب أرسلان ص ١٩٩ ـ ٢٠٠

وانك لترى هذه العداوة اكثر وضوحا فى بلادهم ، فقد زرت امريكا وشاهدت على شاشة التلفاز يوما ما يجرى فى الكنيسة يوم الأحد وخارجها . من عرض افلام تحذر المسيحيين من نهضة علمية عربية تجعلهم قادرين على دك حضارة نيويورك وباريس بالصواريخ العربية الاسلامية .

ودخلت احد المطاعم فوجدت عند كل منضدة للطعام قد علق بجوارها صورة للدرع الذى كان مستخدما فى الحروب الصليبية وعليه بالرسوم البارزة صور الصليب .

بل ان فيلم اعداء المسيحية الذى عرضه التلفاز عن مخاوف النصارى من اليقظة العربية الاسلامية لا يرى الحل الا فى التعاون مع الشيوعية لمواجهة الاسلام ، وتكثيف عمليات التبشير وسط الشعوب الفقيرة بتربية وتعليم اطفالها منذ سن الحضانة على النصرانية .

وقد جاء فى موسوعة « لاروس » الفرنسية خلال العرض لآراء كتاب المسيحية الى النصف الأول من القرن التاسع عشر ممن نالوا من محمد شر نيل وعندما لم يجدوا ما يعيبه ـ اتجهوا الى السباب والكذب ـ فقالوا مثلا : « بقى محمد مع ذلك ساحرا ممعنا فى فساد الخلق . لص نياق . كاردينالا . لم ينجح فى الوصول الى كرسى البابوية فاخترع دينا جديدا لينتقم من زملائه . واستولى القصص الخيالى والخليع على سيرته .

وسيرة باهومية « محمد » تكاد تقيم أدبا من هذا النوع . وقصة محمد التى نشرها رينو وفرانسيسك ميشيل سنة ١٨٣١ تصور لنا الفكرة التى كانت لدى اهل العصور الوسطى عنه . والتى تتناقض مع الثوابت التاريخية . فقد عرف بالأمانة والصدق وكريم الخلال فى الجاهلية والاسلام .. وكان بعيدا عن كرسى البابوية . وما كان للنصارى فى مكة عدد يذكر .

وفى القرن السابع عشر نظر « بيل » فى تاريخ ابى القرآن نظرة تاريخية . مع ذلك ظلت مقررات ظالمة ثابتة فى نفسه عنه . على انه يعترف مع ذلك بأن النظام الخلقى والاجتماعى الذى اقامه محمد لا يختلف عن النظام المسيحى لولا القصاص وتعدد الزوجات .

وقال اميل درمنجم الفرنسى فى كتابه « حياة محمد » (ص ١٣٥ وما بعدها) : « لما نشبت الحرب بين الاسلام والمسيحية اتسعت هوة الخلف وسوء الفهم ـ بطبيعة الحال ـ وازدادت حدة . ويجب أن يعترف الانسان بأن الغربيين كانوا السابقين الى أشد الخلاف . فمن البيزنطيين من أوقروا الاسلام احتقارا من غير ان يكلفوا انفسهم ـ فيما خلا « جان داماسين » ـ مؤونة دراسته . ولم يحارب الكتاب والنظامون مسلمى الأندلس الا بأسخف المثالب ، فقد زعموا أن محمدا لص نياق ، وزعموه متهالكا على اللهو ، رزعموه ساحرا ، وزعموه رئيس عصابة من قطاع الطرق ، بل زعموه قسا رومانيا مغيظا محنقا أن لم ينتخب لكرسى البابوية .. وحسبه بعضهم الهـا زائفا يقرب له عباده الضحايا البشرية .

وان « جبيردنوجن » نفسه ـ وهو رجل جد ـ ليفقد توازنه ـ فيذكر أن محمدا مات فى نوبة سكر بين ، وأن جسده وجد ملقى على كوم من الروث ، وقد اكلت منه الخنازير ، وذلك ليفسر السبب الذى من أجله حرم الخمر وحرم لحم ذلك الحيوان(٢) .

« وذهبت الأغنيات الى حد أن جعلت محمدا صنما من ذهب ، وجعلت المساجد الاسلامية برابى ملأى بالتماثيل والصور . وقد تحدث واضع أغنية « انطاكية » حديث من رأى صنم « ماحوم » مصوغا من ذهب ومن فضة خالصين ، وقد جلس فوق فيل على مقعد من الفسيفساء . أما أغنية « رولان » التى تصور فرسان « شارلمان » يحطمون الأوثـان الاسلامية فتزعم أن مسلمى الأندلس يعبدون ثالوثا مكونا من : ترفاجان ، وماهوم ، وأبولون . وتحسب « قصة محمد » أن الاسلام يبيح للمراة تعدد الأزواج » (٣) .

---

(٢) هذه صورة تنم عن الجهل المطبق لأن تحريم الخمر ولحم الخنزير كان فى عهد النبى وهو الذى أخبرنا بتحريم الله لهما . ولم يحرمهما المسلمون من بعده . وفى القرآن آيات التحريم « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** » (المـائدة : ٣) .

(٣) أرأيت كيف يتعاون الفنانون فى تشويه سيرة الرسول ودينه فيما يضعونه من اغان ؟

« وقد ظلت حياة الأحقاد والخرافات قوية متشبثة بالحياة . فمنذ « رودلف دلوهيم » الى وقتنا الحاضر قام نيكولا دكيز ، وفيفس ، ومرانشى ، وهوتنجر ، وبيليياندر ، وبريدو وغيرهم ، فوصفوا محمدا بأنه دجال ، والاسلام بأنه مجموعة الهرطقات كلها ، وأنه من عمل الشيطان ، ووصفوا المسلمين بأنهم وحوش ، والقرآن بأنه نسيج من السخافات . وقد كانوا يعتذرون عن الحديث الجد فى أمر هذا مبلغ سخافته .

« ومع ذلك فان بيير باسكال من الذين توسعوا فى الدراسات الاسلامية فى القرن الرابع عشر . ومن قبله بيير المحترم « فنرابل » مؤلف أول رسالة غربية ضد الاسلام قد ترجم القرآن فى القرن الثانى عشر الى اللاتينية . وقد وصف انوسان الثامن محمدا يوما بأنه « عدو المسيح » أما القرون الوسطى فلم تكن تحسب محمدا الا هرطيقا(٤) . وكان لـ «ريمون ليون » فى القرن الرابع عشر ، ولـ « غليوم بستل » فى القرن السادس عشر و لـ « رولان » و « جانييه » فى القرن الثامن عشر ، وللقسيس «دبرجلى» و لـ « رينان » فى القرن التاسع عشر آراء وأحكام مختلفة . على أن الكونت بولنفلييه وشول كوسان دبرسفال ودوزى سبرنجر وبارتلمى سانتيلير ودكاسترى وكارليل وغيرهم يظهرون على وجه الاجمال ـ انصافا للاسلام ونبيه . ويشيدون ـ فى بعض الأحيان ـ بهما . مع ذلك فان دورتى يتحدث فى سنة ١٨٧٦ عن محمد الصادق العفالنظيف فيقول نفيض هذا فى أسلوب سباب ، لا علم ، كما طعن عليه « فوستر » من قبل ذلك سنة ١٨٢٢ . وما يزال للاسلام حتىاليوم محاربون متحمسون » .

* * *

● **مرد الخصومة :**

ومرد هذه الخصومة بين الاسلام والمسيحية راجع الى جهل الغرب بحقيقة الاسلام ، وبسيرة النبى ﷺ .

كما أن حماة المسيحية حين شعروا بأنها دين لا يوائم طبيعة الغرب

---

(٤) الهرطيق : المجادل المتفلسف ـ والهرطقة : الجدل غير المثمر ، والمغالطات ، والجدل بالباطل .

الذى عاش ألوف السنين على تعدد الآلهة ، والذى يدعوه مركزه الجغرافى الى حياة الكفاح لمغالبة الزمهرير(٥) والضنك وسوء الحال · وحين أحسوا بأن الغرب سيفلت من المسيحية الى أقرب دين للفطرة وهو الاسلام ، أسرعوا الى محاربته وأسرفوا أيما اسراف ، وأرادوا أن يسقطوا عن نفس الشخصية المسيحية عار سقوط هرقل وحضارته تحت سنابك الخيل(٦) الاسلامية بافتراء الانحطاط وشتى المثالب(٧) على محمد ورسالته وأتباعه ـ دفاعا لا شعوريا عن النفس ، ونتيجة لمركب عقدة الاستخذاء والغرور والجهل ، فكان ما رأيناه من العداء السافر فى الأغانى ، والعظة الأسبوعية ، والقصة ، والتأليف التاريخى ·

وقد أدى هذا اللون من الكتابة نتائجه فى صفوف الغربيين ، اذ صرفهم عن دراسة الاسلام والتفكير فيه · وجمد العوام على مسيحيتهم ، ووجه الباحثين عن الروح(٨) الروحى والهدوء النفسى وناشدى(٩) فىء السعادة وبردها بعيدا عن لهب الصراع المادى الدائر الرحى ـ الى الديانات الهندية والصينية بعيدا عن الروحانية المسيحية التى أصبحت فى قفص الاتهام بعد كثرة الانشقاقات المذهبية والثورات الاصلاحية فظهرت « الثيوزوفية » على يد مدام بلافاتسكى · وقد اقتبستها من البوذية وسيلة للاخاء العالمى · وما لبثت أن أصبحت مذاهب ثلاثة عقب موتها(١٠) واستغل المستعمر العامة نتيجة هذه المفتريات لغزو العالم الاسلامى ·

على أن هذا الأسلوب لم يكن ذا أثر سىء ـ بصورة عامة ـ عند المسلمين الذين لا يقرأون هذه المفتريات ، بل ولا عند القلة الذين أتيح لهم أن يستمعوا لها أو يقرأوها ، ذلك لأن الايمان المستقر بين جوانحهم ما كانت لتزحزحه مفتريات باطلة لا دليل عليها ، بل ان الاغراق فى الافتراءات

---

(٥) شدة البرد ·
(٦) السنبك ـ بضم السين والباء ـ : طرف الحافر ·
(٧) العايب ·
(٨) الروح ـ بفتح الراء ـ : الراحة والنسيم ·
(٩) طلاب ، والباحثون عن ····
(١٠) حياة محمد · ط ٢ ص ٣٠١٢ ·

على الاسلام ورسوله بعث فى بعض المستشرقين طموحا الى تبوأ مراكز ريادة حرية البحث وحريه الكلمة فأخذوا يكتبون عن بعض الحقائق المشرقة فى جوانب الاسلام وتاريخ الرسالة ، ولم يذروا استرضاء الجماهير المتعصبة فكان لهم من الغمزات واللمزات شىء يقل أو يكثر حسب حاجة الكاتب الى رواج بضاعته . وأشد المستشرقين حدة وحقدا على الاسلام ورسوله وتاريخه الفرنسيون والكاثوليك الذين تحتضنهم فى العالم جمهورية فرنسا ، ومن اشهرهم أرنست رينان وكيمون وهانوتو وفولتير ، وهم بعد عصر النهضة .

ومن هؤلاء السافرين بالخصومة والافتراء :

١ ـ المستشرق « كازيميرسكى » الذى تولى الرد عليه الأستاذ أبو الوفا محمد درويش .

٢ ـ والمستشرقة الآنسة « لورا هيلين سوبريدج » الانجليزية فى كتابها « أحلام المراة ورسالتها » . وقد كتب مقدمته أسقف لندن ، ومنهم المستر « كاش » فى كتابه « العالم الاسلامى فى ثورة » ، وقد زعم فيه أننا نحن المسلمين نضفى على محمد صلى الله عليه وسلم ـ مسحة مسيحية ، وقد تولى الرد عليه العلامة « خ . كمال الدين » فى كتابه « المثل الأعلى فى الأنبياء » ، وقد ترجمه « أمين محمود الشريف » .

٣ ـ ومنهم المستشرق اليهودى « داود صمويل مرجليوث » المتوفى عام ١٩٤٠ .

٤ ـ ومنهم « م . سفارى » الذى تابعت نقد مفترياته فى صلب كتابه « مختصر حياة محمد » فى هذه الدراسة . وغير هؤلاء كثيرون .. وأمثالهم فى عصرنا هذا كثيرون ولكنهم لا يستعلنون فى المجتمعات الاسلامية بمفترياتهم الا عندما يحسون بضعف المجتمع المسلم سياسيا واقتصاديا وعسكريا وعلميا كما حدث أخيرا فى اندونيسيا . وعندما يسقط الحكم فى قبضة حكام ضعاف العقيدة أو الذمم ، أو فاقدى التصور الاسلامى .

* * *

● **بعد منتصف القرن التاسع عشر :**

وبعد عصر النهضة كانت يقظة فكرية ، وكان حرص على تقصى الحقائق واكتشاف المجهول من الآثار سواء المطمور تحت الأرض من النقوش والعاديات كالتى تولاها من سموا علماء الآثار ، أو المسطور المغمور المطروح فى آفاق النسيان ، أو فى زوايا الاهمال بالزوايا أو التكايا ومكتبات الأفراد . من نوادر المخطوطات المبعثرة فى العالم الاسلامى جميعه مكتوبا بالعربية أو الفارسية أو الهندية أو التركية .

وهؤلاء المنقبون من أمثال « جوستاف لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » ، و « دوزى » فى كتابه « الاسلام فى الأندلس » و « سيديو » فى كتابه « فضل العرب على الحضارة الأوروبية فى القرن التاسع عشر » و « كارليل » فى كتابه « الأبطال وعبادة الأبطال » ، وقد اتجه اتجاهه وعلى منهجه « هجنز » و « بفونبرت » و « بوزورث سيمث » فى انجلترا و « كرهل » و « وجريمنس » فى ألمانيا ، ومثلهم « اللورد هدلى » الملقب بـ « سيف الرحمن رحمة الله فاروق » الذى أسلم ، وتوفى عام ١٩٣٥ ، ومستر « كاش » . والكاتب الايطالى « كيتانى » الذى هدم الدعاوى المتكررة التى يحتج بها علماء النصارى على الاسلام .. هؤلاء غالبا ما كان يدفعهم الى البحث وقول كلمة الحق الا الرغبة فى اظهار معلومات مجهولة هى فى عداد الآثار ، وبغيبة عن ورثة أهل هذه الآثار والكنوز الفكرية المطمورة ، فقد مات أبطالها وخلفوا من بعدهم ذرية ضعفاء فى مجتمعات أصابها اعصار فيه نار فاحترقت ، ثم لأن جل هؤلاء الباحثين ـ الا من أسلموا ـ كانوا متحللين من الأديان ثائرين عليها ، فهم يدرسونها للعلم وحده .. ولم يدر بخلدهم أن ما يكتبون سيصل يوما الى المسلمين ، فيكون شهادة من أعداء الاسلام لمجدهم الغابر ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، فيعتزون بهذه الشهادات ، وينشرونها لتحمى الشخصية الاسلامية من التمزق ، والاحساس بالضياع والخيبة ، ولتحمى الشخصية الاسلامية كذلك من الشعور بالنقص شعورا أودى بالبعض الى الهاوية ، والقى بهم فى مهامة التقليد للفرنجة حتى كفروا بأنفسهم وبتقاليدهم وأمتهم ، ورضوا

لأنفسهم أن يكونوا آلات ومطايا للغربيين ، بدلا من أن يكونوا ذوى كرامة شخصية وقومية ـ غدوا أبواق الاستعمار والصليبية والصهيونية ٠

لقد تجلى أخطر دور لعبه المستشرقون فى حرب الاسلام عمليا فى بناء المدارس التى يعلمون فيها الناشئة من أبناء المسلمين ، واستغلال مهنة الطب والتمريض ، وعايشوا المسلمين العرب فى بلادهم ، فكانوا يحببون اليهم حضارة أوروبا الزائفة ، ويدعون الى الاختلاط والتبرج والانحلال ٠ وينشرون المذاهب الهجينة كالصليبية والعلمانية والوجودية ، ومن افتتن بهم لقنوه انكار نبوة محمد ﷺ ونبذ الاسلام والتشكيك فى القرآن ٠ ولسنا نجد مؤلفا مسلما ارتد عن دينه الا وله صلة بالصليبيين(١١) ٠

ثم خلف من بعدهم خلف أرادوا حرب الفكر الاسلامى بصور خفية مدروسة ، وكأن لهذا أساليب شتى ، ليس هنا مجال دراستها ، فموضعها كتابنا « الاستشراق وجه جديد للحروب الصليبية » ٠

* * *

● **التجاهل للرسول والرسالة :**

كثيرا ما تجاهل كبار الكتاب الغربيين ـ فى مواقف العظمة ـ المقارنة بين شعوب ، أو أديان ، أو فلسفات ٠ قد يكون للاسلام فيها رأى ٠ ويلاحظ أنهم لا يكتبون الا القليل والتافه عن الاسلام والرسول ، حتى يبدو الدين غير جدير بالوقوف عنده ٠

فمثلا : الكاتب الأمريكى « ف ٠ س ٠ ك ٠ نوثورب » فى دراسته التى سماها « بحث فى تفهم العالم » لم يتناول العرب والمسلمين بالذكر الا فى اثنتى عشرة صفحة فقط من ٤٩٦ صفحة ، مع أن المسلمين والعرب يمثلون سبع العالم ٠

وكذا المؤرخ « برتراند رسل » فى كتابه « تاريخ الفلسفة العربية » لم

---

(١١) محمد النايف فى « دراسات فى السيرة » بمجلة المجتمع العدد ٢٣٩ ـ صفر ١٣٩٥ هـ ـ مارس ١٩٧٥ م ٠

يخصص للاسلام ونبيه منه الا ١٦ صفحة متفرقة من مجموع صفحات الكتاب التى يبلغ عددها ٨١٦ صفحة(١٢) ٠

وكانت الكنيسة الكاثوليكية تتجاهل كتب السيرة النبوية ، ليتسع المجال لتصوير النبى « محمد » عليه الصلاة والسلام ، خلاف صورته التاريخيـة ، وتتجاهل القرآن ولا تعترف بوجوده ، وأحرقت نسخه العربية فى البندقية سنة ١٣٥٠ م ، وحرم بابا الاسكندرية طبعه وترجمته ٠

وفى القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت ترجمات القرآن تشفع بمقدمات ، أو تعليقات ، أو تذييلات للرد على القرآن ، أو تجريح النبى صلى الله عليه وسلم (١٣) ٠

وتقع الموسوعة الأمريكية التى تدعى«كوميتون بريكتور اينسيكلوبيديا» فى خمسة عشر مجلدا (طبعة ١٩٦٦) ، وقد أوردت معلومات عن الاسلام باعتباره دينا فى ٧½ أسطر فقط مع رسم لمئذنة مصرية قديمة ، فى حين أن الموسوعة نفسها أوردت أربع صفحات كاملة من القطع الكبير عن اليهودية ، مع رسوم بيانية واضحة ، وعن اسرائيل أوردت ثلاث صفحـات تقريبا ، مع خرائط ورسوم بيانية ٠

أما عن لبنان فقد وقعت أحداث ثورة ١٩٥٨ ، وذكرت جنود الأسطول الأمريكى السادس ونشرت دبابات أمريكية أمام فندق سان جورج كمعلم من معالم البلد الرئيسية ٠

* * *

● **الالحاد والتشكيك فى النبوات :**

ومن المستشرقين ملاحـــدة يكفرون بالأديان وبالرســـل جملـة ، فمهاجمتهم للرسول محمد ﷺ ليست الا بغية التجريح لمبدأ « ديانة ورسل واله للعالمين » ، لا البحث عن الحقيقة التاريخية أو العلمية ، فهم ينكرون عيسى ويتهمونه بالجنون ، بل ويقولون انه وأمثاله : كموسى وهـارون وسليمان وداوود اشخاص غير تاريخيين ٠

---

(١٢) الطبعة الثالثة ، لندن سنة ١٩٤٨ ٠

(١٣) المستشرقون والاسلام ص ١٢٨ ٠

ومن هؤلاء الشاعر المشهور « فولتير » الذى هاجم الكهنة واتهمهم بالوثنية فى مسرحيته الأولى التى اشتهرت باسم « أوديب » عام ١٧١٨ ، ثم هاجم الأنبياء فى شخص محمد صلى الله عليه وسلم بمسرحيته « التعصب » عام ١٧٤١ وأهداها الى البابا « بنوا الرابع عشر » للتمويه بأنه لا يريد الا محاربة محمد وحده كما قال النقاد ، ولكن اختياره لشخص محمد من بين الأنبياء ـ وما أكثر أنبياء بنى اسرائيل ـ يشير الى كامن مزيد من احتقاره للاسلام ورسوله ٠

والعجب أن نرى باكستانيا فى ندوة اسلامية عقدت فى لاهور فى نهاية ديسمبر ١٩٥٧ ويناير ١٩٥٨ وقد وقف ينكر النبوات وبخاصة نبوة محمد ﷺ زاعما أنه كان يعلم قصص الأنبياء ممن كانوا فى الجزيرة من النصارى واليهود (١٤) ٠٠٠ وقد جهل الباكستانى ـ أو كفر ـ بقوله تعالى عن قصص القرآن « **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن** » (١٥) ٠ وقوله سبحانه: «**ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك**» (١٦) ٠ وقوله : « **ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا** » (١٧) ، كما أنكر الباكستانى اختصاص الوحى بالأنبياء ، وجهل أن الوحى بمعنى الالهام معنى لغوى كالهام الحيوان ما فيه صلاح حياته ومعاشه ، وأما الوحى السماوى فاصطلاح شرعى انفرد به الأنبياء « **وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا** » (١٨) ٠

ويلح المستشرقون على نزع ثوب النبوة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والباسه ثوب البشرية فى صورتها الحيوانية الدنيا الأدنى مناسبة ، وبصورة خفية كما سنرى فى حديث « سفارى » عن كتاب هرقل وعن وساطة أبى سفيان فى فتح مكة ٠ وفى المؤاخاة بعد الهجرة ، وفى زواج ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وكما فى تصوير «سفارى» لأمهات المؤمنين عند ذكره زواج ريحانة رضى الله عنها ٠

---

(١٤) المستشرقون والاسلام ص ٥٨٥ ٠
(١٥) يوسف : ٣ ٠ (١٦) آل عمران : ٤٤ ٠
(١٧) هود : ٤٩ ٠ (١٨) الشورى : ٥١ ٠

وهذا التشكيك تسرب الى كل المقررات الاسلامية ، حتى الأمجـــاد التاريخية التى اطمأنت بها واليها قلوب المسلمين ، وقد جرى تلامـذة المستشرقين فى هذا المضمار شوطا كبيرا ، تلمح هذا فيما كتبه طه حسين ، وعلى سبيل المثال فى كتاب الشيخان يقول : « وأكاد أجزم ، وانى لأشك » ـ الى آخـر هذه العبارات الماكرة لزلزلة اليقين .

* * *

● **الطعن غير المباشر :**

قد يعمد المستشرق الىالكتابة عن محمد ﷺ ورساته تحت عنـوان دراسة مغايرة لموضوع « محمد ورسالته » ولكنه ينزلق الى الموضوع لأدنى ملابسة ، فمثلا المستشرق الروسى « اغناطيوس كراتشكوفسكى » فى كتابـه «تاريخ الأدب الجغرافى عند العرب» الذى ترجمه الدكتور صلاح الدين هاشم ونشرته الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية يقول : « ان القرآن هـو جماع تلك المعارف التى حصل عليها محمد عن طريق السماع وهى تمثـل نموذجا عاما لمستوى الثقافة العام فى هذا المجال »(١٩) . ولا شك أن كلامه باطل لأمور :

أولا : لأن دارس القرآن يرى فيه معلومات هى اجابة عن أســئلة جهلها العرب « **ويسألونك عن الروح ..** » (٢٠) ، « **ويسـألونك عن الجبال** » (٢١) ، « **يسألونك عن الأهلة ..** »(٢٢) ، « **يسألونك ماذا ينفقون** »(٢٣) ، « **يسألونك ماذا أحل لهم ..** »(٢٤) ، « **يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ..** »(٢٥) .

ثانيا : لأن بعض العرب لم يكونوا على مستوى ادراك النصـــوص القرآنية ، فكانت تنزل الآيات تبسط شرح المراد بسبب انخفاض مستواهم

---

(١٩) المرجع السابق ص ١٨٦ .
(٢٠) الاسراء : ٨٥ .
(٢١) طه : ١٠٥
(٢٢) البقرة : ١٨٩ .
(٢٣) البقرة : ٢١٥ .
(٢٤) المائدة : ٤ .
(٢٥) النساء : ١٧٦ .

عن مستوى اللغة القرآنية ، كالرجل الذى لم يفهم المراد من قوله تعالى : « **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود** »(٢٦) ، فنزل قوله سبحانه : « **من الفجر** » ليبين أن لفظ الخيط كناية عن الليل والنهار وليس حقيقة العقال الأبيض والأسود ٠

ثالثا : لأنه لو كانت هذه المعلومات القرآنية فى مستوى الثقافة العامة لكان المتعلمون وكتاب ديوان كسرى وقيصر والرهبان ، أقدر على صوغ كتاب أرفع من القرآن وأغزر مادة ـ بفضل امتياز التعلم على الأمية التى كان عليها محمد رسول الله ـ ولكن هذا هو ما لم يحدث بالرغم من المعارضة للنبى ، ومن تحديه لكافة الناس أن يأتوا بقرآن مثله ٠٠

وهكذا كان « اغناطيوس » يذكر المعلومات الفنية ويخلطها بأخرى تزرع الشكوك فى أن القرآن وحى من الله أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ـ والمستشرق ـ بحسبه أن يجعل فى الكتاب كله نقطة أو نقطتين من السم غارقتين فى العسل ، لأنهم لا يصدرون كتابا واحدا ، وانما يصدرون بالمئات توزع فيها السموم المنوعة ٠٠ فتترسب فى المجتمع الاسلامى شيئا فشيئا حتى تمسى ركاما من الضباب الحاجب عن رؤية الحقيقة الاسلامية ٠

وقد أثار الكاتب انتباه قرائه الى أن بالقرآن مصطلحات جغرافية موجودة بالكتب السماوية السابقة ، ليوقع فى الروع أنه مسروق منها ، وتناسى أن القرآن نفسه قال عن ذاته « **مصدقا لما بين يديه من الكتاب** »(٢٧)، بل ان المنطق السليم ليوجب فى هذه الحالة أن نقول : ان تشابه النصوص فى الاسلام والأديان قبله دليل على أن الدين من عند الله وأن الاسلام دين حق لأن الله يقول : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى** »(٢٨) ٠

واذا كان الله قد تكفل بأرزاق الناس وجعلهم شركاء فى رزق أجسامهم ٠ فهل يفرق ـ سبحانه ـ بينهم فى رزق الروح وغذائها ٠ هذا

---

(٢٦) البقرة : ١٨٧ ٠ (٢٧) المائدة : ٤٨ ٠
(٢٨) الشورى : ١٣ ٠

اذا سلمنا بأوجه الشبه ـ وما اقلها ٠٠ وما اكثر ما خالف فيه القرآن الكتاب المقدس خلافا جذريا ٠

وفى سورة يوسف عليه السلام أمثلة كثيرة خالف فيها القرآن التوراة تعد بالعشرات قد استقصاها مالك نبى المفكر الجزائرى رحمه الله فى كتابه « الظاهرة القرآنية » فالتوراة مثلا قالت : ان اخوة يوسف ركبوا الحمير الى مصر ، بينما القرآن تحدث عن العير فى الرحلة ٠٠ وهى سفينة الصحراء فى مثل هذه الأسفار الصحراوية الطويلة ٠٠ وغير ذلك كثير ٠

* * *

obeikandl.com